طلعنا عالحريّة

حرية، كرامة، مواطنة

أضحى مبارك

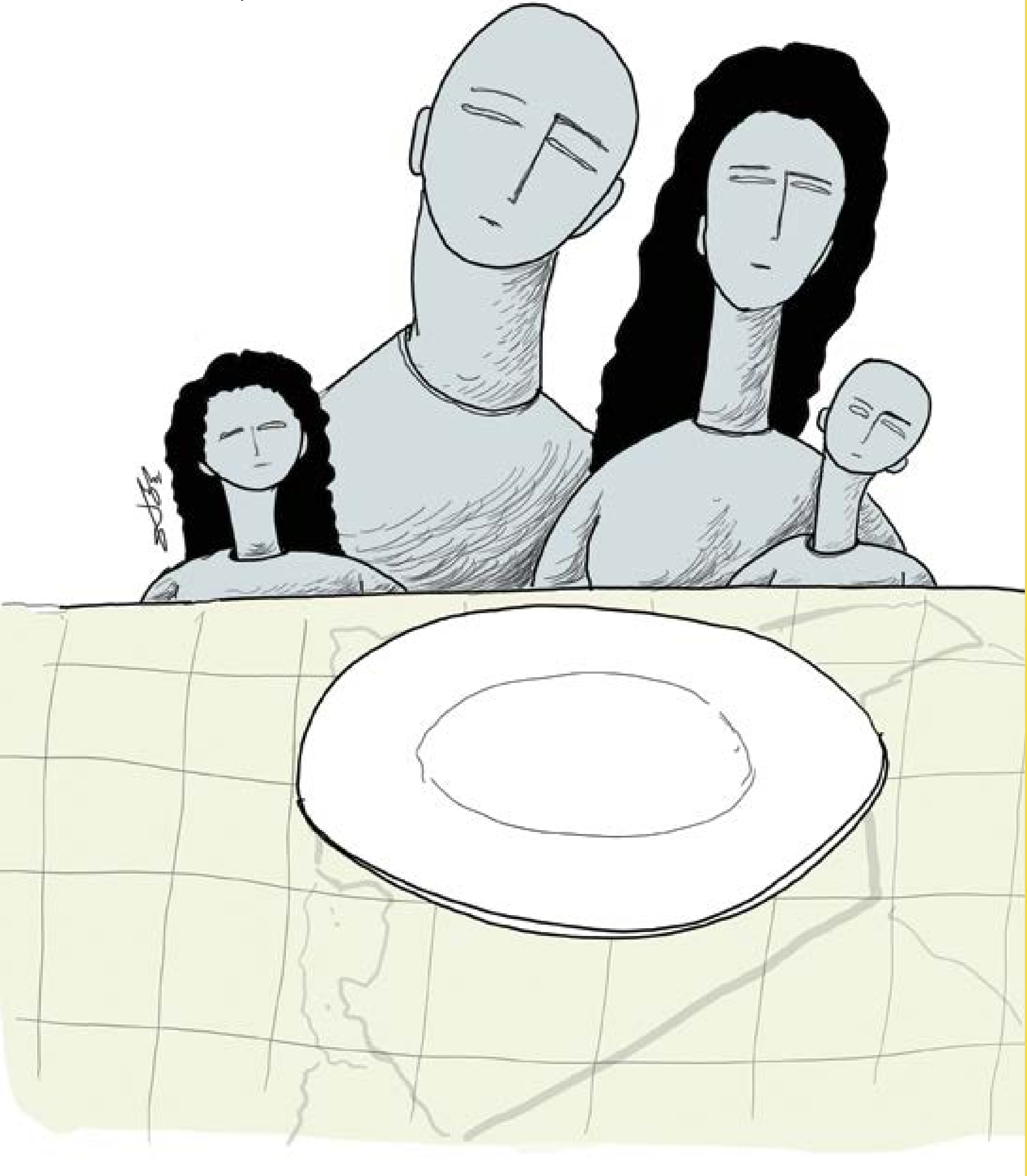

العدد 96
17 / 7 / 2021
مجلة شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

ماذا بقي لنا من العيد؟

افتتاحية بقلم ليلى الصفدي

هل تساءلنا يوماً لماذا نحن شعب يكره الفرح ويخافه؟!، ألم نسمع مراراً كلمات مثل "الله يجيرنا.. انبسطنا اليوم"، وكأن الله سبحانه وتعالى يكره أن يرانا سعداء! لماذا هذا الربط السلبي بين الفرح والإيمان؟ من قال إن المؤمن غير سعيد؟ أوليس الرضا عن النفس والقناعة جزء من السعادة؟

ليست هذه دعوة للفرح المصطنع، بل دعوة لنتفهم الأسباب التي تجعل أيامنا لا تتناسب مع مفهوم العيد.. أعيادنا القليلة أصلاً.

هل لأننا قوم مهزومون، والأعياد هي تتويج لنضالات الشعوب بنصر لا مجال لنسيانه؟.. هل لأننا قوم نعيش بواد ودِيننا ومعتقداتنا بواد آخر؟ والعيد هو ذكرى دينية وإنسانية عزيزة على القلوب.. وهو احتفاء بذكرى تاريخية كبرى أو بميلاد أنبياء التاريخ.. أو لأننا قوم لا ننجب العظماء؟ والعيد شهادة تقدير ووفاء لعظماء كان لهم بصمتهم في التاريخ..

أو لأننا نفتقد الانتماء لوطن تغتصبه طغمة أعيادها المجيدة لا تعنينا..

أو لأننا قوم إذا ملكنا الانتماء للأوطان، لم تمتلك الأوطان انتصارات تستحق الاحتفاء..

وهل قيم الحب والمساواة والعمل هي قيم معاشة في حياتنا؟ لنخصها بأعياد؛ فالحب مرتبط لدينا بالعيب، والعدل والمساواة يقتصران على الخالق، والعمل ليس إلا لكسب العيش ولا يحمل قيمة بحد ذاته.

الشعوب هي التي تصنع أعيادها، والأعياد مرتبطة بتاريخ من الانتصارات والإنجازات والقفزات، والتي بالتأكيد نفتقدها نحن في المنطقة العربية، فمنذ عهد الرسول الكريم لم نحقق أشياء تذكر. حتى انتصاراتنا الوطنية في عهد الاستعمار تُوِّجت بأنظمة استبدادية، بل أنظمة مجازر، وتبعية مستمرة ومتزايدة.

حرياتنا العامة ما زالت مقيدة، اجتماعياً لم نحقق سوى التفكك، ثقافياً لم نحقق سوى التأخر، علمياً لم نحقق سوى أعداداً من الخريجين وهجرة للأدمغة. قضايا المرأة الأساسية وحقوق الطفل ما زالت تراوح مكانها، وعلى مستوى الحياة الكريمة والرفاه، فحدث ولا حرج عن دولة الطوابير والذلّ على أبواب المخابز.

تاريخنا تاريخ الهزائم.. فمن أين يأتي الفرح؟ ومن أين يحلّ العيد؟؟

في ظل الظروف الحالية وما تعانيه البلد من احتلال وانقسام وتفكك وظروف معاشية سيئة.. نتساءل ماذا بقي للسوريين من الأعياد، فكيف سيحتفل السوري بعيد جلاء المستعمر الفرنسي عن أرضه بوجود أربعة محتلين جدد ونظام خائن؟!

وكيف ستحتفل المرأة بيوم خاص بها، وبالأمس القريب قُتلت فتاة قاصر من قبل أهلها وعشيرتها لأنها خرجت من تحت عباءتهم الظلامية.

وماذا سنقدم للطفل في يومه الخاص ونحن لا نستطيع توفير الحماية والأمن وأبسط حقوقه في التعليم واللعب والعيش الكريم؟

وكيف سنحتفل بعيد الأضحى ونحن لا زلنا نضحي بالبشر والأبناء والأخوة على مذبح السلطة!

العيد هو الإنجاز، والإيمان بالذات الفردية والجماعية، وبقيم إنسانية واجتماعية ودينية وسياسية، فأين هي إنجازاتنا وقيمنا التي تستحق العيد؟

لقد أثبتت تجربتنا المريرة أن أكثر ما نحتاجه هو ثقافة جديدة تناسب العصر، معرفة من نوع جديد، ومبادرات مبتكرة نحو العام، ونحو ربط الخاص بالعام، احترام الآخر واحترام الحريات وحقوق الإنسان، احترام التاريخ، وانفتاح على الحضارات والثقافات الأخرى، كشف الذات وإخراج المكبوت، وعدم المساومة في نبذ القمع والانتهاكات والتدخل في شؤون الآخرين. باختصار إلى ثقافة جديدة تستلهم التاريخ وتنفتح على المستقبل.

وبالرغم من كل الواقع المأساوي علينا أن نصدق أن تغيير الواقع يبدأ من الرأس.. من العقل الذي يصنع تاريخاً ويصنع أعياداً.

طلعنا عالحريّة
شهرية ثقافية، اجتماعية، سياسية، تعنى بالشأن السوري

www.freedomraise.net
■ المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
■ المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد

رئيس التحرير أسامة نصّار
نائب رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
facebook.com/rising4freedom
twitter.com/freedomraise
freedomraise@gmail.com

المدير الإداري	الغلاف	كاريكاتير	أمن رقمي ومحاسبة	زملاء مختطفون في سوريا
معتصم أبو الشامات	سمير خليلي	سمير خليلي / هاني عبّاس	وائل موسى	رزان زيتونة - ناظم حمادي

في انتظار المثقّف المُستنير

مرزوق الحلبي - فلسطين المحتلّة

عندما قتلت قوات الأمن الفلسطينية -التابعة للسلطة الوطنية في رام الله- في الثالث والعشرين من حزيران الماضي الناشط المعارض، نزار بنات (من مدينة الخليل)، عادت إلى الواجهة تلك السجالات بشأن العلاقة بين نكبة الفلسطينيين ومحنة السوريين. فقد كان بنات معارضاً للسلطة في رام الله، لكنّه كان مناصراً لنظام المجازر في دمشق، ولعرّابه نظام الملالي الإيراني. ليس هذا فحسب، بل كثيراً ما كان يتشفّى ويسخر ويكايد عبر "إطلالاته" في أشرطة الفيديو، الشعب السوريّ ومؤيديه من العرب والفلسطينيين، ويدعو نظام المجازر إلى مزيد من التوحّش! وأنا الذي لا أتبع "شيخاً" أو "طريقة" أو "عقيدة" مغلقة، رأيت من واجبي نقد جريمة قتله، والمطالبة بمحاسبة المنفّذين والمسؤولين عنهم، من أصغرهم إلى أكبرهم، مع الإشارة إلى أن الضحية كان من مناصري نظام المجازر. وكان للأمر أن ينتهي هنا لولا أن كثيرين من المتناقشين طالبونا بألّا نذكر له تأييده لنظام المجازر، ونكتفي بالوقوف معه كضحية سلطة غاشمة، أو تعمل لحساب الاحتلال، كما قالوا. قسم من هؤلاء كان بنفسه من مؤيّدي نظام المجازر ومتقبّلاً لتوحّشه الذي فاق مليون مليون مرّة ما تقوم به السلطة "الوطنية" الفلسطينية. فأدركنا مدى التباس الأمور على بعضنا، ومنهم مَن يدّعي الثقافة أو إشغال خانة المثقّف الفلسطيني. فعُدنا إلى التأمّل في حالتنا لتفكيكها إلى عواملها الأولى، كي لا يستمرّ هذا السجال العقيم وهذا الانتقاص من مكانة المثقّف أو المعارض وزجّهما في شبكة من ازدواجيّة المعايير ومتاهات العقيدة والإيديولوجيا. هناك اعتقاد ساذج لدى أوساط واسعة من مثقّفينا الفلسطينيين لا سيّما في الداخل الفلسطيني (الساحل وسائر الجليل) أنه بمجرّد أن تكون معارضاً للاحتلال ومناهضاً لسياسات إسرائيل الكولونيالية في فلسطين فإنّك محرّر من تبعات كلّ سؤال آخر في إطار "مناهضة" القهر والظلم، أو في إطار التضامن والتعاطف مع مقهورين ومظلومين آخرين. وقد شخّصنا في بداية الحرب على الشعب السوريّ تمسّك بعض الفلسطينيين بخانة الضحية بامتياز، ورفضهم الاعتراف بأن يكون شعبٌ آخر كالشعب السوريّ ضحيّة لنظامه ولقوى أجنبيّة تحتلّ وطنه. وأدركنا في وقت مبكّر أيضاً أن قسماً من الفلسطينيين -مثقفين وغير مثقفين- لا يزال يعيش وعياً زائفاً بخصوص النظام في دمشق، وعرّابه النظام في طهران. وعي ورّطهم بمواقف بائسة، كأن لا يُدركوا مثلاً دلالات تدمير مخيّم اليرموك فوق رؤوس مليون من أهله الفلسطينيين والمهمّشين! لقد كشفت جريمة قتل بنات هشاشة مفهوم "المعارض" و"المثقّف" معاً؛ فالمعارض وفق بنات هو معارض للسلطة في رام الله، لكنّه متحالف أوتوماتيكياً مع كلّ معارضيها، بما فيهم فصائل أصولية كحماس والجهاد والموالين لإيران في غزة وسواها. علما بأن هذه القوى -لا سيّما حماس- مارست أبشع قمع في غزة؛ حيث استطاعت أن تفرض هيمنتها وتقمع وتقتل! وكشفت أيضاً هشاشة "المعارضة" و"الثقافة" لأنها جهويّة تعمل باتجاه سلطة تناهضها، وليس على أساس قيمة أو فكرة تؤيّدها؛ ف-"المعارض" بنات الذي رفض بحقّ كل أشكال القمع الداخلي لسلطة رام الله، والهوان الخارجيّ أمام الاحتلال، لم تؤذه حقيقة قمع سلطة حماس للناس في غزة ولا توحّش النظام في دمشق ولا جرائم التطهير العرقي لمناطق واسعة من سوريا. لقد رأينا -في بنات وغيره- نموذجاً لقصور مفهوم "المعارض"و"المثقّف"في الثقافة السياسيّة الفلسطينية التي تأسّست على مدار عقود على محور واحد هو: مناهضة إسرائيل، وتوكيد المشروع الوطني الفلسطيني. صحيح أن الأمر لا ينسحب على كل المعارضين والمثقّفين الفلسطينيين، لا اليوم ولا في الماضي، لكننا رأينا هذه النزعة بوضوح في كل مراحل المشروع الفلسطيني. وهي نزعة أضعفت هذا المشروع وشدّته إلى الخلف. كلّما ابتعدنا عن حقبة "حركات التحرّر" و"حق الشعوب في تقرير مصيرها" ضعف التضامن

الفلسطيني مع شعوب مماثلة، واتسعت الرهانات على أنظمة ومراكز أقلّ ما يُقال فيها إنها أسهمت إسهاماً جديّاً في تدمير قضية فلسطين وشطبها.. نظام دمشق ونظام إيران مثلًا. لم يمنع هذا من أوساط فلسطينية الإبقاء على رهانها معلّقاً على هذه الأنظمة بالذات. وهذا في رأينا نتيجة مباشرة لعقدة القوة؛ فالمقهورون أو المظلومون حتى النُخاع كالفلسطينيين يعلّقون الأمل على "مراكز قوة" في الجوار أو في الخيال والوهم، طمعاً في نصر أو فرج يُعيد الحقّ لأهله. عُقدة ليست حصراً على الفلسطينيين؛ فقد وقع في حفرتها سوريون كثيرون في محنتهم، وهي عُقدة "تُعفي" المنكوب بها من المبادرة والاعتماد على النفس وإنتاج الاقتدار الذاتي لمواجهة شرط القهر من خلال منظومة أخلاقية شمولية، إضافة إلى مشروع سياسيّ قابل للحياة لا للموت. على مستوى آخر من هذه القضية، تكمن للمثقّف وللمعارض إغراءات الإيديولوجيا أو العقيدة (الدينية أيضاً). فقد رأينا أجيالاً من المثقّفين العرب وبضمنهم الفلسطينيين يسيرون معصوبي الأعين وراء العقائد حتى ضاعوا في المتاهات وأضاعوا كل مسالك النجاة. هؤلاء لم يدعوا الوقائع تغيّر لهم من فرضيات العقائد وأحكامها. ومن هؤلاء شيوعيون ويساريون في طول الإقليم العربي وعرضه، بما فيه حيفا وسائر الجليل. فقد ذهب كثيرون منهم في مسار الدوغما وفسّروا كلّ شيء تفسيراً غيبيًّا كأي عقيدة دينية

البقية في الصفحة 11........

عيد الأضحى.. الاحتفاء بتطور البشرية

سميح الصفدي

ثمة تسليم ضمني عند كثير من النشطاء والناشطات والشبان والشابات غير المتدينين في المجتمع السوري بأن عيد الأضحى المبارك لا يرقى إلى مستوى "الأعياد الراقية"؛ لا بد أن الكثيرين يشعرون بدونية هذا العيد مقابل عيد "بابا نويل" أو "عيد الحب" أو غيره من الأعياد.

إن محاولات التنصل من هذا العيد هي حالة مركبة وتتدعم بعدة نقاط:

1 - الطابع الديني لهذا العيد، مع ما نعلم من تنافر متفاوت ولا عقلاني بين فئة من جيل الشاب، الهارب من الحرب والظلامية، والدين عموماً.

2 - حالة الشعور الواعي أو اللاواعي بالدونية تجاه الغرب وامتداده المسيحي في منطقتنا عند الكثير من أفراد الطوائف الإسلامية، والتي لها مبرراتها التاريخية والحضارية المعروفة.

3 - الميل لقيم الرفق بالحيوان والاتجاهات النباتية التي تلقى رواجاً هذه الأيام، والتي تنظر بامتعاض شديد إلى أضاحي العيد وتعتبرها، مظهراً لا إنسانياً وظالماً.

4 - التلبك والتخبط في تفسير معاني العيد سواءً عند المتدينين أو العلمانيين.

ولا بد أننا قادرون على تلمس الشعور المبطن بالزهو ونظرة التجاوز لدى المترفعين عن الاحتفال بهذا العيد، باعتبارهم قد تجاوزوا حالة "متخلفة" "لا إنسانية" و"همجية".

قد تغرينا بشاعة الذبح الفعلية والمتخيلة لأضاحي العيد بالموافقة على هذا الطرح الإنساني، وقد تدفعنا للترفع عن هذا العيد وعن مبدأ الأضاحي، وقد تقودنا الحالة إلى تخيل امتدادات هذا "الذبح" في واقعنا الحالي والتناحر الذي عاشه السوريون على جلدهم، والذي شهده العالم على الشاشات بين المسلمين أنفسهم، ولكننا وبتسليمنا السهل لهذا الإغراء نكون قد فقدنا البوصلة.. وقلبنا المفاهيم.. وأغفلنا العقل.. العقل التاريخي على الأخص.

ثمة تاريخ طويل للبشرية المتحضرة، وبعمق هذا التاريخ يقبع البشري المفترس.. جدنا القنّاص، لم يكن هذا البشري الأول يعرف الصناعة ولا الزراعة، بل كان يعرف القنص والقتل كمصادر وحيدة للطعام.. والبقاء.. ولنسمها "مصادر الطاقة".

ومصادر الطاقة هذه كانت قليلة ومحدودة، ولم تكن تسمح سوى لعدد قليل من البشر بالعيش على الكرة الأرضية. البحوث العلمية ترجح أن العدد الفعلي لسكان الكرة الأرضية عشية الثورة الزراعية (بين الألف العاشر والسابع قبل الميلاد) كان يتراوح بين خمسة وعشرة ملايين من النفوس. وهؤلاء الملايين كانوا عبارة عن جماعات وقطعان بشرية في صراع دائم ومستمر من أجل البقاء، وفي خضم هذا الصراع كان أكل لحوم البشر ممارسة عادية وسارية، وكان المنتصر يأكل العدو ويشرب دمه في جمجمته المفرغة ليكتسب فضائله!

كانت تلك القطعان تخوض الحروب والنزاعات على مناطق النفوذ للقطف والصيد، وكان الشكل الوحيد الممكن لاستغلال أسرى الحروب هو التهامها.. أكل لحمها! ولم يكن يندر ساعة العوز أن يأكل الأخ أخاه والأب أبنه.

وجاءت الثورة الزراعية أخيراً.. لا بد أن عوامل عديدة ثقافية واجتماعية قد مهّدت لها، وانتقل البشر من الصيد والقطف إلى الزراعة وتربية الحيوان.. إلى الرعي والمكاثرة.

من هنا يجب أن نعيد فهم قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، إنها كما يقول المفكر إلياس مرقص: "رمز ديني كبير"؛ فهي تعلن انتهاء عهد الأضاحي البشرية.. وانتهاء التهام الإنسان لأخيه الإنسان. لقد استبدل ملاك المعرفة التضحية بابن إبراهيم.. بالتضحية بكبش.. إنها الثورة الزراعية وتربية المواشي، وانطلاق عهد جديد من تاريخ البشرية: عهد الزراعة.. وعهد العبودية بنفس الوقت!

منذ تلك اللحظة أصبح ممكناً استغلال الآخر.. العدو.. الأسير.. بشكل آخر غير التهامه، وذلك عبر استغلال "قوة عمله".

العبودية سيئة؟! نعم.. لكنها قفزة كبرى في تاريخ البشرية، منذ تلك اللحظة أصبح فائض القيمة ممكناً، والتراكم الاقتصادي ممكناً، وقفز عدد البشر إلى ستين مليوناً، ومع بسط وتعمق الثورة الزراعية وصل هذا العدد عام 1750م قبيل الثورة الصناعية إلى 750 مليون نسمة، لتحصل القفزة الكبرى بعد الثورة الصناعية، والتي وفرت كميات غير متصورة من الطاقة فيما بعد، ليقفز تعداد البشر إلى العدد الحالي.

إنه إذاً مفهوم التقدم؛ فالتقدم كما يقول "مرقص" أيضاً: "هو نمو، والنمو مفهوم رياضي بسيط أولاً، التقدم = نمو الإنتاجية، مردود الشغل البشري، (نسبة كمية الناتج على كمية الشغل)، ونمو الإنتاج هذا قبل أي شيء آخر، وهو أخيراً وبعد إغفالنا لجميع التوسطات والجوانب والمسارات "نمو" حجم السكان، أي تعداد البشر، وهذا هو الخط العريض للواقع كتاريخ".

هل بإمكان إنسان اليوم الاستغناء عن المصدر الحيواني للطاقة؟ وبالتالي الكف عن قتل الحيوانات والتهامها.. مع المحافظة على تعداد السكان على الأرض؟ الجواب ليس بسيطاً ويحتاج إلى دراسات معمقة. لكن سواءً كان الجواب بالنفي أو بالإيجاب فإن القيمة التاريخية لهذا الإنجاز البشري الكبير "الثورة الزراعية" تبقى قيمة كبرى، ومن هنا فإن احتفاءنا بعيد الأضحى المبارك هو احتفاء بمنجز تاريخي كبير، وبغض النظر عن التفسيرات الدينية الأخرى، هو احتفاء بالكف عن قتل الإنسان لأخيه الإنسان.. احتفاء وأمل، ينبئنا واقعنا المؤسف كل يوم، أننا لا زلنا تاريخياً وحضارياً نقبع خلفه!

عيد أضحى مبارك

كل عام وأنتم بخير

فتاة الحسكة.. تعيد فتح ملف الجرائم المرتكبة بحق النساء في سوريا

حسين الخطيب

تنتشر في مختلف أنحاء سوريا قضايا القتل بتهم متعددة يتعرض لها مدنيون منهم نساء ورجال، وأحياناً أطفال، في ظل غياب القوانين وتغاضي المحاكم والجهات الأمنية، التي تعاقب مرتكبي هذه الجرائم، التي ولدت جراء انتشار السلاح في يد كل من يرغب بامتلاكه، دون وجود أي رادع لذلك!

ومن أبرز الجرائم تلك التي تتم بحق النساء بتهمة "الشرف"، والتي تجري بين حين وآخر في مناطق متفرقة من البلاد، في وقت تكثر فيه المحاكم والقضاة وتغيب العدالة، إلا أن الجريمة الأخيرة المروعة التي جرت بحق فتاة في مدينة الحسكة كانت الأكثر تأثيراً على الصعيد المحلي والعالمي، بسبب المشاهد التي صورها المجرمون أثناء ارتكابهم الجريمة بحق الفتاة التي لم يتجاوز عمرها السن القانوني، بتهمة "الشرف".

تظهر مشاهد مقتل الفتاة اجتماع العديد من الشبان حول الفتاة التي تم استدراجها إلى منزل مهجور في ريف مدينة المالكية في محافظة الحسكة، وهم يتناوبون على إطلاق الرصاص على جسدها، بحجة "غسيل الشرف والعار"، كما يصفها هؤلاء.

ويظهر الفيديو الفتاة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، بعد رميها بعدة طلقات متفرقة في جميع أنحاء جسدها، وهي تتوسل إخوتها وابن عمها الذين يقومون بقتلها وتعذيبها بوحشية مفرطة.

وبحسب "مركز توثيق الانتهاكات في شمال سوريا" فإن اسم الفتاة البالغة من العمر 16 عاماً (عيدا الحمودي السعيدو) وتقيم مع عائلتها في حي الزهور (حوش الباعر) في مدينة الحسكة شمال شرقي سوريا، وهي من عشيرة (الشرابين)، تم قتلها على يد أفراد عائلتها بذريعة "الشرف".

وفي ملابسات القصة فإن الفتاة رفضت الزواج من ابن عمها الذي اختارته أسرتها زوجاً لها، ويدعى (أحمد السعيدو)، باعتبار العادات تفترض أن ابنة العم لابن عمها! إلا أن محاولات أسرتها بإقناعها في الزواج من ابن عمها بائت بالفشل، مما دعا الأسرة إلى ضربها ومنعها الخروج من المنزل.

وبعد مراقبتها لعدة أيام اكتشفت الأسرة أن الفتاة ترغب بالزواج من شاب آخر يحبها، وتقدم لخطبتها إلا أن أسرتها رفضت طلب الشاب، وسجنت الفتاة في غرفتها مع تعذيبها وقطع الطعام والشراب عنها قبل الشروع بقتلها.

وعلى إثر ذلك زعمت الأسرة أنها وجدت الفتاة بريف الحسكة، أثناء هربها مع الشاب ووالدته التي اتفقت معها للخروج وابنها إلى خارج البلاد نحو كردستان العراق، وتلك ذريعة الأسرة.

راوية المحمد من مدينة الحسكة تقول خلال حديثها لمجلة "طلعنا على الحرية" إن "السلطات المحلية المتمثلة بالإدارة الذاتية لم تحرك أي ساكن تجاه الجريمة، إلا أنه هناك ردود فعل خجولة حول الموضوع، ولكن نتيجة انتشار القضية في داخل سوريا وخارجها أجبرت بعض مؤسسات حماية المرأة على التنديد بالقضية، علماً أن هذه القضايا تجري كثيراً في المنطقة".

وأضافت أن "السلاح منتشر في الحسكة بشكل كبير بسبب تردي الوضع الأمني، و"قسد" هي المسؤولة عن انتشاره، كما ظهر في الشريط المصور مشاركة أحد عناصر حزب الاتحاد الديمقراطي في الجريمة".

وأوضحت: "أن طريقة القتل التي جرت بحق فتاة الحسكة هي المتعارف عليه في المنطقة؛ أن كل فتاة تهرب من منزلها، متزوجة أو عزباء، مصيرها القتل، وطبعاً هي من العادات السلبية في المجتمع، لكن الانفلات الأمني زاد من ارتفاع عدد الجرائم".

وقابلنا في الجهة المقابلة "صالح" وهو اسم مستعار لشاب يقيم في حي الزهور بمدينة الحسكة ورفض الكشف عن اسمه، وقال لمجلة "طلعنا على الحرية": "يعني كل فتاة هربت وخطفت من منزلها ووضعت رأس عائلتها في الأرض يجب علينا تشجيعها؟ لكي يقال عنا "مجتمع متحضر وديمقراطي"! إن هذه القضايا تجري في معظم بلدان الوطن العربي.. عوضاً عن التعاطف يجب علينا علاج الموضوع وتربية أبنائنا تربية سليمة واعية".

ويضيف: "ما يجري سببه "قسد" التي تسيطر على المنطقة، والأفكار التي تنشرها في المجتمع، حتى وصل الحال بنا إلى رؤية خطف وهروب الفتاة من المنزل عادي جداً، في وقت تذهب مئات الفتيات إلى معسكرات "قسد" للخدمة العسكرية في صفوفها".

من جهتها "أحلام حسن" العاملة في "مركز آسو للدراسات والاستشارات القانونية"، تقول: "إن تصرف عائلة الفتاة مجرد من الأخلاق الإنسانية ومنافٍ للمواثيق الدولية، وليس من حق إنسان سلب حياة إنسان مهما تعاظمت الأسباب، ويجب أن يحاسب مرتكبو الجريمة".

من جانبه "نايف محمد" يقول لمجلة "طلعنا على الحرية": السلطات المحلية في المنطقة والعائلة

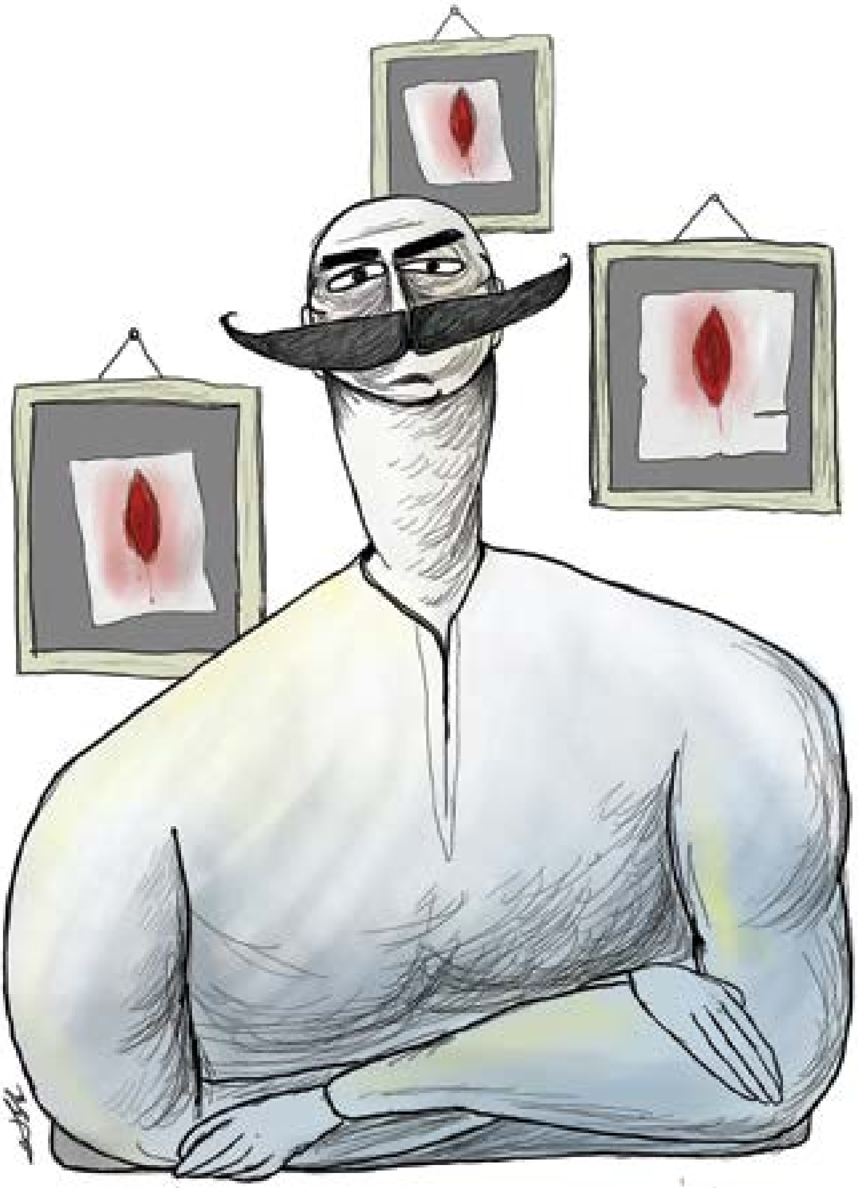

هم المسؤولون عن قتل الفتاة، وفعلياً ليس هناك مساحة آمنة تلجأ لها الفتاة في منطقتنا، علماً أن العديد من الجرائم التي ترتكب غير معلنة وضحيتها فتيات".

وأضاف: "جرت عملية قتل الفتاة من منطلق أن شرف الفتاة يرتبط بشرف العائلة كلها والحفاظ عليه يعني المحافظة على شرف العائلة".

وتنص المادة 17 من قانون المرأة الذي أقرته الإدارة الذاتية الكردية في مناطق شمال شرق سوريا على "تجريم القتل بذريعة الشرف واعتباره جريمة مكتملة الأركان"، وعلى الرغم من وجود القوانين لحماية المرأة وحماية الإنسان التي أقرتها الإدارة الذاتية في مناطقها، إلا أن تطبيقها فعلياً غير موجود في ظل استمرار الجرائم المرتكبة بحق المدنيين نساء ورجالاً وأطفالاً.

وخلال شهر حزيران/ يونيو الماضي لقيت فتاة مصرعها ووالدتها في مخيم بريف إدلب، على يد ابن عمها بعد انتشار صورة لها على وسائل التواصل الاجتماعي، ومنذ مطلع شهر تموز/ يوليو حتى الآن جرى العديد من الجرائم؛ حيث قتل رجل من مدينة حلب زوجته في مدينة عفرين بأداة "الكريك" وأشعل النار بقدميه، كما قتلت فتاة أخرى في مخيم شمارين في ريف مدينة اعزاز، وكذلك أيضاً في مدينة الحسكة أقدم شاب على طعن ابنة عمه بأداة حادة في المربع الأمني داخل المدينة.

الفقر والغلاء يعيدان أساليب العيش القديمة في إدلب

شمس الدين مطعون

في إدلب يعود الزمن إلى الوراء، حيث تسمع أصوات بوابير الكاز في الأزقة والحارات، كما في مسلسل باب الحارة وليالي الصالحية، و يلجأ الأهالي لاستخدام البوابير كأحد البدائل المتوفرة في ظل موجات الفقر والغلاء التي تعاني منها المنطقة.

"نحكم إغلاق ثقوب البابور، ونضرب ثلاثة ضربات حتى يمتلأ الرأس بالمازوت بعدها نفتح عزقة البابور قليلاً ونشعله، ونشدها مرة أخرى" بهذه الخطوات كانت السيدة أم هيام تعلم ابنتها قواعد تشغيل البابور.

تقول أم هيام "قمت بإنزال البابور من سدة المطبخ، وأنا استخدمه منذ أشهر عدة، موضحةً أن "ارتفاع أسعار الغاز لا تمكننا من اقتناء جرة دائماً، فنتركها للأمور الصغيرة كالقهوة والشاي، أما الطبخ فأستخدم له البابور".

"بابور الكاز" وهو موقد مصنوع من النحاس، ويعمل على وقود "الكاز"، ولكن الأهالي يستخدمون المازوت بديلاً عنه لعدم توفر الكاز.

يضطر العشرات من الأهالي في إدلب للتغلب على مشكلة ارتفاع أسعار غاز الطهي الذي تضاعف، ليجدوا في الأدوات القديمة حلاً جيداً لا يخلو من المتاعب.

تقول "سناء": "خصصت بعض الأواني للطبخ على البابور لأنها أصبحت سوداء ويصعب غسيلها"، وتتابع أن: "صوت البابور قوي جداً، وأعطاله كثيرة".

بينما تضحك "أم خالد" والتي باتت تستخدم البابور لإعداد معظم طبخاتها أثناء حديثها، وتقول: "مين بصدق إنا نصير متل نسوان باب الحارة، نطبخ على البابور"، مردفةً "الحياة بتمشي لقدام ونحنا مترجع لورا".

كما عادت مهنة تصليح البوابير، أو ما يعرف بـ"السمكري" لتنتشر في أسواق إدلب؛ ففي دكانه الصغير يجلس العم "أبو مصطفى" ومن حوله تصطف عشرات البوابير التي تحتاج للصيانة.

يقول أبو مصطفى: "البابور يحتاج إلى خبير

باستعماله وكاز أو مازوت نضيف، الناس بتحط أشكال وألوان لهيك بيعطل".

"الشمبر، النكاشة والرأس" هي القطع التي يستخدمها أبو مصطفى لإصلاح البوابير، "حتى أسعارها أصبحت مرتفعة، ويلجأ الأهالي لإصلاحها بدل استبدالها" قال العم.

موقد الطين:

تخلط "أم جيهان" التراب بالماء وتضيف بعضاً من بقايا أغصان القمح الجافة لتغطي بها الحجارة التي وزعتها بشكل نصف دائري لتجهز الموقد الخاص بالطبخ. تعطي هذه الطبقة الإضافية متانة للموقد، كما تجعله يحفظ الحرارة بشكل أفضل.

تقول أم جهان التي تقيم في إحدى مخيمات الشمال: "تعلمت هذه الطريقة من أمي التي كانت تستخدمها في حال انقطاع الغاز، أو لطهي الطبخات الكبيرة كسلق القمح السنوي".

وتوضح السيدة: "الغاز متوفر، ولدي بدل الجرة ثلاث، ولكن تعبئتها مكلفة جداً، كما يصعب تشغيل الغاز في المخيم، ومعظم من حولك يطبخون على موقد النار".

الفخارة

في منتصف سوق إدلب يصادفك بائع معدات فخارية منوعة الأشكال، كجرة ماء وكأس وأوعية للطبخ.

ينادي صاحب البسطة على بضاعته: "قرب.. بتطفي الشوب هالفخارة" في إشارة منه للجرة الفخارية التي لُفّت بكيس سميك من الصوف المبلل.

يوضح صاحب البسطة ويدعى "أبو مروان" أنه يبيع العشرات من هذه (الفخارة) مع دخول فصل الصيف: "مع ارتفاع أسعار المحروقات ووسائل التبريد الحديثة في إدلب عاد الأهالي لطرق الأجداد والزمن القديم، فهذه الأواني تستخدم لتبريد المياه".

على شرفة منزله يعلق "مالك" الجرة الفخارية ويحرص ألا تتعرض لأشعة الشمس ويقوم بتبليل الكيس الذي لفت به كلما جف "بهذه الطريقة تبرد المياه، وتصبح أطيب" قال مالك، وهو من سكان إدلب. وتابع: "منذ قدومي من ريف حماة، لم أعد أعمل، والمصاريف كبيرة، وليس لدي قدرة للاشتراك بالكهرباء، ناهيك أنني لا أملك ثمن البراد".

عربة وحصان:

في أرضه على أطراف بلدة بنش بريف إدلب يستخدم الحاج "أبو خالد" (59 سنة) خيلاً قوية يربط عليها آلة الحراثة.

يقول الحاج أبو خالد إن ارتفاع أسعار المحروقات وتراجع أسعار المحاصيل الزراعية دفعها للرجوع لأبسط الأدوات وأقلها تكلفة.

ويوضح الحاج أن الظروف الاقتصادية المتردية "رجعتنا خمسين سنة لورا، كنت شوف والدي هيك يحرث الأرض".

ويستخدم أبو خالد معدات عدة في عمله اليومي بالزراعة كلها قديمة، كعود الحراثة، والنورج، والدراس، والمنجل.

على عربة خشبية يجرها حصان، وحملت بأصناف من الخضار يجلس "أبو مهدي" وهو يمضي في شوارع مدينة إدلب منادياً على بضاعته: "قرب يا ريان.. حمرة يا بندورة".

يقول أبو مهدي:: "إن أي مركبة أخرى ستحتاج وقود وتصليحات وكلها مرتفعة الثمن"، موضحاً: "لا أستطيع تحمل عناء دفعها من بيع البضائع القليلة التي أحملها".

يلوح أبو مهدي بالسوط الذي بيده في إشارة للحصان أن يتوقف ويقول: "بداية الأمر كنت أحس بالخجل، ولكن اعتدت عليه بعد أن رأيت عشرات العربات التي تشبه عربتي".

ارتفاع أسعار الكهرباء والمحروقات والماء.. في الشمال السوري

طلعنا عالحرية

الصورة: لشارع مدينة الباب شرقي حلب

شهدت أسواق ريف حلب الشمالي، وإدلب على حد سواء ارتفاعاً بأسعار المحروقات والكهرباء والماء مع بداية شهر تموز يوليو، بنسب متفاوتة بين مادة وأخرى، مما زاد معاناة الأهالي في تأمينها وعزوف آخرين عن شرائها أو توفيرها لمنازلهم في ظل الحاجة الملحة إليها، لا سيما أنها من ضروريات الحياة اليومية، التي يعتمد عليها السكان.

وتلقى السكان صدمة كبيرة جراء ارتفاع سعر تعبئة الكهرباء، التي ارتفع سعرها بنسبة تتراوح بين 20 و25% من منطقة إلى أخرى، بحسب الشركة الموفرة للكهرباء في مدن ريف حلب الشمالي، دون معرفتهم للأسباب، التي ربطها مسؤولون بانهيار الليرة التركية المتواصل أمام الدولار الأمريكي، وارتفاع تكاليف إيصال الكهرباء إلى المنطقة.

يقول "صالح الحسن" وهو نازح من بلدة معرشمارين بريف معرة النعمان إلى ريف حلب الشمالي: "إن ارتفاع سعر الكهرباء بشكل كبير خلال الآونة الأخيرة دفعني إلى تخفيض نسبة الصرف الشهري؛ فكنت أشحن بطاقة الكهرباء بقيمة 100 ليرة تركية وأحصل على 136 كيلو واط، تكفيني لشهر، أما الآن فأصبحت أحصل بالقيمة المالية نفسها على 114 كيلو واط". وأضاف: "في بادئ الأمر كان اعتمادنا على الكهرباء في طهي الطعام، وغسيل الثياب وتبريد الماء والأطعمة في ظل ارتفاع درجات الحرارة، إلا أننا الآن أجبرنا على تخفيض عدد ساعات تشغيل المعدات الكهربائية المنزلية من أجل توفير مصاريف الكهرباء قدر المستطاع".

ويشير الحسن، وهو معلم بناء لا تتجاوز يوميته 5 دولارات أمريكية، خلال حديثه إلى مجلة طلعنا على الحرية أن "الأسباب الرئيسية التي تمنعه من مواصلة حصوله على الكهرباء بكميات كافية أن لديه مصاريف أخرى، من بينها إيجار المنزل والحاجيات الأساسية اليومية للأسرة".

كما سجلت المحروقات ارتفاعاً ملحوظاً خلال مطلع تموز/ يوليو الجاري، حيث ارتفع سعر ليتر البنزين في السوق المحلية إلى 7.5 ليرة تركية، أما المازوت المكرر محلياً ارتفع إلى 4 ليرات تركية بينما المازوت المستورد التركي وصل سعر الليتر الواحد منه إلى 5.25 ليرة تركية.

كما ارتفع سعر أسطوانة الغاز تدريجياً، حيث كان سعرها خلال شهر كانون الثاني/ يناير من هذا العام 60 ليرة تركية، وارتفع إلى 80 ليرة تركية، ومع بداية هذا الشهر فقد وصل سعر الأسطوانة 100 ليرة تركية، في حين انخفضت خلال الأيام القليلة الماضية إلى 90 ليرة تركية.

يقول "عبد الكافي أبو زكور" وهو صاحب متجر لبيع المحروقات في مدينة مارع بريف حلب: "رفعنا تسعيرة البنزين والمازوت والغاز بسبب ارتفاع سعرها من المصدر التي تأتي منه وهو تركيا، بسبب انهيار العملة التركية أمام الدولار الأمريكي".

وأضاف: "أسعار المحروقات مقيدة عالمياً ومرتبطة بالدولار، وما يجري من ارتفاع سببه انخفاض قيمة الليرة التركية، وربما المصدر الذي نحصل منه على المحروقات، والتجار هم من رفعوا التسعيرة، حيث كان سعر برميل البنزين 150 دولار أمريكي أما الآن سعره وصل إلى 175 دولار أمريكي، وهذا الارتفاع ليس فقط على البنزين، وإنما المازوت والغاز أيضاً".

"عبد الغني الحسين" يعمل مستخدماً في محكمة مدينة صوران بريف حلب الشمالي، قال لمجلة "طلعنا على الحرية" إن أسعار المحروقات أصبحت مكلفة جداً، فهو يحتاج يومياً 2 ليتر من البنزين للذهاب إلى عمله على الدراجة النارية من مدينة مارع إلى مدينة صوران، أي أنه شهرياً يحتاج 300 ليرة تركية لقاء تكلفة الطريق.

وأضاف: "راتبي فعلياً لا يتجاوز الـ 600 ليرة تركية شهرياً، أضع نصف المبلغ لقاء أجر ذهابي للعمل، والنصف الآخر كيف سيؤمن لأسرتي المكونة من 5 أفراد حاجياتهم اليومية من طعام ولباس وغاز لطهي الطعام والكهرباء".

وأشار، إلى أن مواصلة ارتفاع الأسعار وبقاء مصادر الدخل على ما هي عليه أمر قد يصل إلى كارثة في المنطقة، لاسيما وأن معظم السكان يعتمدون على الوظائف المتاحة محلياً والعمل الحر في حال توفره.

وارتفع سعر ماء الاستعمال في مدينة الباب شرقي حلب في ظل أزمة انخفاض منسوب المياه إلى 40 ليرة تركية لألفي ليتر ، بينما في مدينة مارع واعزاز يتراوح بين 20 والـ 25 ليرة تركية في ظل انقطاع مياه الشركة التي توفرها خدمات البلدية في كل منطقة للسكان.

ويضطر السكان للحصول على المياه من خلال صهاريج نقل المياه من الآبار البعيدة، إلى مراكز المدن، وتحتاج الأسرة أسبوعياً حوالي 4 آلاف ليتر من الماء كحد وسطي.

ويشكل استمرار ارتفاع أسعار المحروقات والكهرباء والماء آثاراً مختلفة على السلع الأخرى من مواد غذائية وخضروات التي تعتمد على النقل، وكذلك أيضاً المنتجات المحلية الأخرى منها الزراعية والصناعية التي تعتمد على الكهرباء.

وإلى ذلك يحاول السوريين التغلب على مآسي الحياة اليومية، من خلال تأمين الشيء البسيط من الضروريات، في ظل تردي المردود الشهري في حال توفر الوظيفة، وقلة أجور العمل اليومي "المياومة" في حال توفرت الفرصة، حيث لا يمكن أن يجني العامل يومياً أكثر من 3 دولار أمريكي

مصابات الحرب في إدلب.. آلام النفس والجسد

دارين الحسن - إدلب

بين ليلة وضحاها تحولت سناء البصاص (24 عاماً) إلى مصابة حرب، تحتاج إلى مساعدة في كل تفاصيل حياتها، وهي لا تزال في مقتبل العمر، "يتملكني شعور بالعجز والنقص، ولا أنسى فظاعة ما مررت به، حين صحوت على سرير المستشفى فوجدت نفسي بإعاقة دائمة، ستغير مجرى حياتي إلى الأبد" تقول سناء لطلعنا عالحرية.

سناء هي إحدى مصابات الحرب، اللواتي وقعن ضحايا الحرب السورية المدمرة، وبدأت معاناتهن من صعوبة الحصول على العلاج، إلى جانب التهميش والوقوع فريسة الأمراض النفسية، دون أن يجدن من يمد لهن يد العون، أو يسمع أنين هذه الفئة المهمشة.

فئة منسية

تتعرض المرأة ذات الإعاقة إلى تمييز مزدوج، وتعيش تحديات وصعوبات من المجتمع الذي ينظر إليها نظرة دونية، وليس نظرة إنسانية، وتعيش مهمشة من قبل أسرتها والمجتمع المحيط.

سناء التي تنحدر من مدينة كفرنبل بريف إدلب، تعرضت لشظية قذيفة بترت يدها اليمنى منذ أواخر عام 2019، ومنذ ذلك اليوم لم تعد قادرة على القيام بواجباتها تجاه زوجها وطفلها على أكمل وجه، بحسب وصفها، وتشعر بأنها تعيش على هامش الحياة، وعن ذلك تقول: "أشعر أن الموت أسهل من هذه الحياة بعد أن انضممت إلى قائمة الفئة المهمشة المنسية".

تضيف بعد تنهد: "صحيح أنني فقدت يدي، لكنني فقدت معها كل أمل بالعيش الطبيعي، فالجميع ينظرون إلي بعين الشفقة والعطف، وأشعر بالإهمال من قبل زوجي الذي أعتبره أقرب الناس إلي".

أما أم علاء (31 عاماً) من منطقة جبل الزاوية بريف إدلب، فكان مصيرها الطلاق من زوجها بعد إصابتها، وعن معاناتها تتحدث لطلعنا عالحرية: "أدى انفجار لغم أثناء عملي في أرضنا الزراعية لبتر قدمي، ولم أتمكن من الحصول على طرف صناعي بسبب الفقر، لذلك أستعين بعكازين أصبحا وسيلتي الوحيدة في التنقل والحركة داخل المنزل".

تؤكد أم علاء أن إصابتها كانت سبباً بتخلي زوجها عنها، وتزوج امرأة أخرى بذريعة عجزها عن الاهتمام به.

وتضيف: "اصطحبت أبنائي الأربعة وتوجهت للعيش في منزل أهلي، واضطر ولدي الأكبر البالغ من العمر (14 عاماً) لترك المدرسة، والعمل لإعالتنا والإنفاق علينا بعد انشغال زوجي عنا، وتوقفه عن إرسال مصروفنا".

صعوبة الحصول على طرف صناعي

معظم النساء المصابات لا يستطعن الحصول على أطراف صناعية بسبب غلائها، وضعف الإمكانات

الطبية في المنطقة، ومحدودية الدعم الذي تقدمه المنظمات والهيئات والمراكز المعنية بمصابي الحرب، حيث تفتقر إدلب إلى وجود أي جهة تقدم أطراف صناعية مجانية لمن يحتاجها، بسبب غلاء أسعار هذه الأطراف المستوردة من جهة، وكثرة أعداد المصابين/ات من جهة أخرى.

علي الطعمة (41 عاماً) من مدينة إدلب، فني أطراف صناعية، يتحدث عن الصعوبات التي يواجهها مصابو الحرب في رحلة البحث عن العلاج، فيقول: "تعاني مراكز تركيب الأطراف الصناعية في المنطقة من شحّ الدعم وقلة الإمكانيات، حيث تراجع نشاط الجمعيات الخيرية التي تُعنى بمصابي الحرب والجرحى في مناطق الشمال السوري، جراء شحّ التمويل والتكاليف المرتفعة التي يستلزمها العلاج الطويل، وغلاء أسعار هذه الأطراف، حيث تبلغ كلفة تركيب الطرف الواحد بين (800 - 1500) دولار أميركي على الأقل، أما الطرف الذكي فقد تصل كلفته إلى حوالي 50 ألف دولار أميركي"!

ويؤكد الطعمة أن بعض المراكز في إدلب تصنع أطرافاً محلية الصنع، وتتقاضى من المستفيدين سعر التكلفة فقط.

ضغوطات نفسية

تترك الإعاقة في حياة النساء جروحاً نفسية عميقة. وعن ذلك توضح المرشدة النفسية شهد العلي (33 عاماً) من مدينة أطمة الحدودية مع تركيا: "يقع على عاتق المرأة مسؤوليات وأعباء كبيرة، وحين تفقد جزءاً من جسدها تشعر بالخيبة والإحباط والدونية وفقدان الثقة بالنفس، إلى جانب شعورها بالكآبة والقلق، وتتلاشى أمامها الأحلام والطموحات المستقبلية، وينحصر تفكيرها بكيفية تدبير أمورها، وكيف ستتأقلم مع إعاقتها وإصابتها".

وتؤكد العلي أن المرأة ذات الإعاقة تواجه حرماناً من فرص التعليم والتأهيل والإرشاد والعمل، والخدمات الصحية، وتقل فرصها بالزواج والاندماج الاجتماعي.

وتلفت العلي إلى ضرورة منح النساء ذوات الإعاقة مزيداً من الاهتمام والرعاية، وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية وإتاحة فرص العمل أمامهن، وتوفير حياة كريمة تضمن لهن مصدر رزق كريم وتؤمن حقوقهن، ويكون ذلك من خلال افتتاح مراكز تمكين لهؤلاء النسوة لمساعدتهن على تجاوز محنتهن، وإطلاق حملات دمج وتوعية تغير من النظرة المجتمعية الدونية لهذه الفئة من النساء.

تحدي الألم

رغم قسوة الواقع حاولت بعض النساء من ذوات الإعاقة في إدلب تخطي مرحلة الألم واليأس، والخروج من خانة العجز، وجعل الإعاقة حافزاً للنهوض والنجاح.

نورة التناري (39 عاماً) نازحة في مخيم سرمدا، تعمل رغم إعاقتها لتعيل أطفالها الثلاثة بعد وفاة زوجها، "نسيت نفسي وإعاقتي أمام حاجة أطفالي، فرغم بتر قدمي بإصابة حربية، والاستعاضة عنها بطرف صناعي، أعمل في الخياطة داخل الخيمة لأعيل أبنائي" توضح نورة.

اليأس هو الأعاقة الحقيقية

أما العشرينية وفاء الدياب من معرة النعمان، فقد أصرت رغم إعاقتها على متابعة دراستها الجامعية، وعن ذلك تقول: "أصبت بالشلل جراء إصابة عمودي الفقري بشظية قذيفة، واستقرت بي الحال على كرسي متحرك، وبعد مكوثي في المنزل لمدة سنتين، بدأ الأمل في داخلي، وصرت أتطلع نحو المستقبل، فقررت كسر الحواجز والعودة لإكمال دراستي الجامعية، فلا شيء مستحيل مع الإرادة القوية، ولا تهمني نظرة المجتمع المحبط من حولي".

وتضيف الدياب: "الحياة لا تتوقف عند حدود الإعاقة أو فقدان جزء من الجسد.. يجب أن نستمر، ويجب أن ندرك أن اليأس هو الإعاقة الحقيقية في حياتنا".

مسرحية عفواً مموزين

أحمد اسماعيل اسماعيل

قراءة : حواس محمود

تتحدث هذه المسرحية "عفواً مموزين" عن الواقع الكردي وحالة القمع التي يتعرض لها الفن الكردي والثقافة الكردية؛ إذ أن الأمن السوري يمنع كل نشاط ثقافي كردي، علني أو سري، إن اكتشف مكان النشاط، كما أن المسرحية تتحدث عن كثرة الأحزاب الكردية وتشرذمها وانقساماتها (من خلال معالجة موضوع الحب عبر شخصيتي مم وزين وبكو) وتأثير هذا التشتت السلبي على العلاقة العاطفية وإفسادها، وبالتالي إنهائها.

مكان المسرحية كواليس أحد المسارح المتواضعة، الشخصيات: سالار الشاب العشريني، نالين فتاة في التاسعة عشر من العمر، وهما ممثلان في مسرح الهواة.

سالار يؤدي دور "فوجت" في مسرحية "النقيب كوبينك" لكارل تسوكماير. يجري حديث بين الممثل والممثلة بانتظار قدوم المخرج، وإمكانية عرض المسرحية، لكنهما يخشيان منعها من قبل الأمن، لأن الأمن قد سبق أن منع مسرحية "موت الحجل"، يشعر الممثلان بالقلق تجاه مصير المخرج، الذي يبدو أنه استدعي إلى فرع الأمن القريب من مكان عرض المسرحية، ويجري التساؤل بينهما: هل تم اعتقال المخرج؟ وعند قدوم المخرج يحتار الثلاثة (الممثل، الممثلة، المخرج) أي مسرحية سيتم تقديمها للجمهور الذي يشعرون تجاهه بالقلق والحيرة، بسبب انتظاره عرض مسرحية ما؟ فالأمن لا يوافق على العديد من النصوص المسرحية، لأنها بنظره نصوص كردية سياسية، حتى إن كانت لا تتحدث عن السياسة بشكل مباشر، وبعد أخذ ورد ونقاش بين الثلاثة، تم الاتفاق على تقديم نص مسرحية "مموزين" باعتباره نصاً يعتمد العاطفة ومشاعر الحب البعيدة عن السياسة وأوجاعها العديدة.

مكان عرض المسرحية حديقة مدينة جامعية، إذ تجلس فتاة جامعية (زين) على أحد مقاعد الحديقة، ويقترب منها شاب (مم) بتردد وهو ينظر إلى ساعته، يحمل وردة حمراء بيده، يتأملها بنظرات الوله، وسلام صباحي آذاري، ويقدم لها وردة، ويدور حديث الحب والوله بين الإثنين.

وأثناء هذا الحديث الهيامي -إن جاز التعبير- يلمح "مم" "بكو" ويؤكد أنه رآه بأم عينه، وأنه يريد التجسس عليهما وعلى حبهما، بغاية إفساده وإفشاله، فيما "زين" تنفي ذلك بالقول لا وجود لأحد هنا، لا "بكو" ولا غيره.

وعند قول زين إنه لا أحد يستطيع منعها ومنع "مم" من الزواج، بخاصة أن العشائرية كانت تعيق الحب بين شاب وفتاة، وأن هناك أحزاب كثيرة وكل من "مم" و"زين" يتحدثان عن أقاربهما وانتمائهما إلى هذه الأحزاب، يدخل الاثنان في حديث عاطفي جميل، ويحصل الاختلاف حول مكان إقامة العرس -عرسهما المرتقب- إذ يرى "مم" أن يقام حفل الزواج في حوش داره، بينما "زين" تطالب أن يكون العرس في ناد فخم ورائع،

وأثناء احتداد الخلاف بينهما ترمي "زين" الوردة الحمراء فيلتقطها "مم"، ويحصل هذا أكثر من مرة بين الإثنين، وهي الوردة التي ترمز لعلاقة الحب بينهما.

"زين" تطالب بأن يكون حفل الزواج حافلاً بكل المظاهر الارستقراطية، وهذا ما يثير غضب "مم" وتبرمه من هذا الطلب المكلف والمرهق، والذي يتعارض مع الإخلاص للحب، بعيداً عن مظاهر البذخ والبهرجة الفائضة، ويصل الخلاف إلى حدوده القصوى عندما ينهي "مم" العلاقة بينهما بالقول إن ما كان بيننا قد أصبح في خبر كان! وتتفاجأ "زين" وتقول له بأنه ليس حراً في قراره ، لكنه يؤكد أنه حر في قراره، وتخرج "زين" من جهة غير الجهة التي خرج منها "مم"، ويتدخل "بكو" (الغائب الحاضر) في هذا الخلاف بالقول: "ها ما رأيكم؟ أنا أعرف أنكم بعد قيل وقال.. ستقولون إن "بكو" وراء هذا الخلاف، والله وبالله وتالله لست أنا من فعل ذلك هذه المرة، لست أنا".

("بكو" والملقب بـ"بكو عوان" هو الشخصية التي أفسدت الحب بين "مم" و"زين" في ملحمة مم وزين للشاعر الكردي المعروف أحمدي خاني)

يوظف الكاتب المسرحي "أحمد اسماعيل" قصة الحب "مموزين" في قراءة الحاضر الكردي، ويدخل موضوع الأحزاب كسبب رئيسي في الواقع المأساوي الكردي، حيث التشتت والتشرذم والانقسام الكردي واضح للعيان لكل متابع للشأن الكردي في سوريا، ويبين التأثير السلبي لهذا التشتت على أنبل عاطفة بشرية وهي الحب بين مم وزين، والذي تأثر بشكل كبير وخطير، وفشلت العلاقة المقدسة بينهما دون تدخل بكو، علماً أن "بكو"، وربما قصد به الكاتب النظام، هو اليد الخفية والمستترة في مثل هذا الخلاف، الذي أساساً جاء نتيجة خلافات الأحزاب السياسية التي يشجع النظام تذررها وانقسامها الهائل.

لقد وفق الكاتب في توظيف التراث الشعبي الكردي وإسقاطه على الحاضر، لتقديم نصّ جمالي كامل ومتكامل، تتوفر فيه الشروط الفنية، وقادر على جذب الجمهور والمتلقين إلى أجواء مسرحية معاصرة تعالج هما معاصراً بأسلوب أدبي جميل وممتع.

في انتظار المثقّف المُستنير

التتمة من صفحة 3 ......

إلهية وتجاهلوا كليًّا الوقائع على الأرض. وهم واهمون إلى يومنا هذا بخصوص سوريا وشعبها ونظام المجازر فيها. وهم، رغم تقسيم سوريا الفعلي وتقاسم مواردها الطبيعية بين خمسة احتلالات، لا يزالون يتحدثون عن "ممانعة" و"مناهضة أمريكا" وما شابه! وهم، من فرط الدوغما، يعتبرون نظام بوتين المافيويّ استمرارًا لـ"الاتحاد السوفييتي العظيم"، وأن نظام الملالي القمعي المستبدّ تجسيدًا للحريّة المُشتهاة.
ظاهرة أخرى لاحظناها عبر السجال العقيم حول جريمة قتل بنات، وهي الاعتقاد بأن المعارضين في نقطة من الزمن والثوريين في مرحلة معيّنة هم ثوريون ومعارضون إلى الأبد. كأن الظواهر -ومنها المثقّف والمعارض- جامدة لا تتحوّل ولا تخضع للجدلية. كأنّ صلاح الماضي يمتد إلى ما لا نهاية مهما فعل المعنيّ وقال. فقد رأينا تحوّلات إشكالية في سيرة البعض ورأينا انحرافاتهم الفكرية ونكوصهم وتواطؤهم وعمالتهم.. لكنهم يُصرّون على أنهم "ثوار" أو "مثقّفون عضويون" وما إلى ذلك من مراتب لا يستحقونها.
لقد كشفت جريمة قتل بنات هشاشة الثقافة السياسيّة الفلسطينية في الراهن، ومكوثها غير المبرّر في معمعان الإنشاءات اللفظية لنظام متوحّش في الشام، وعقيدة شمولية إيرانية لا تترك للإنسان الإيراني مغزّ إبرة كي يسعد. هي ثقافة قاصرة عن رؤية الروابط المرئية وغير المرئية، بين خطر أنظمة شمولية متوحّشة على الإقليم، وبين خطر النظام الاستعماريّ كما تجسّده إسرائيل الرسمية. "ثقافة" عاجزة عن إحداث أي تغيير مأمول في الواقع القاهر. لأنها "ثقافة" تسير معصوبة الأعين وراء أوهام، ولا تؤمن بالأفكار المُشرقة المستنيرة إلّا بقدر ما تخدمها هي أو تخدم لحظتها. ثقافة تتبدّى لنا في كثير من المنعطفات بائسة تُطالب بالحريّة لنفسها وتناصر الهيمنة والاستبداد المفروض على شعب آخر. تنادي بضمان حقوق الإنسان لكنها تناصر سحقه كما في المسالخ البشرية للنظام الأسدي. وهكذا حتى الضياع.
من المفارقات أن "ثقافة" كهذه تلتقي وتتطابق من موقع "الضحيّة" مع سياسات التوحّش المُطلق والتدمير الكلّي للشعوب. هكذا تدور أوساط فلسطينية واسعة نسبيًّا في حلقة مُفرغة غير قادرة على مواجهة أي تحدٍّ مهما يكن صغيراً. من هذه الأوساط تأتينا قوى "الثورة المضادة" التي تُشجعها الجهات المتوجّسة من الثورات ومن الربيع.
المثقّف المستنير والثوريّ المستنير والمعارض المستنير هي النماذج القادرة على كسر هذه الحلقة والخروج من أسرها إلى احتمالات التغيير والتأثير. لأنها نماذج متمسّكة بأفكار وقيم وأنساق متنوّرة مستمدّة من الجوهر الإنساني، ومن فكرة بناء الاجتماع البشريّ على أساس من العدل والمساواة والحريّات، وليس على أساس استبدال نظام قهريّ بنظام شمولي أكثر توحّشاً. ليس كافياً أن تكون ملتزماً بقضيّة أو عقيدة. هناك حاجة إلى تجاوز ذلك صوب الاستنارة، فتكون منظومة القيم النبيلة كلّها هي البوصلة للسياسة وسواها.

إدلب لن تكون إلّا بخير

مصعب الحمادي

قد يظنّ المتأمّل في شؤون محافظة إدلب من بعيد أنها منطقةٌ خالية من النظام والقانون، حتى وإن كان رأيه ذاك من باب الإشفاق على هذه البقعة الغالية على قلوب السّوريّين والحزن عليها. غير أنّ حادثاً صغيراً حصل معي مؤخراً أثبت لي أنّ الأمر خلاف ذلك تماماً، وأنّ أبناء إدلب والنازحين إليها ناجحون نسبيّاً في إدارة شؤونهم وإقامة حكم القانون، حتى وهم يرزحون تحت سلطة أمرٍ واقعٍ لم يكن لهم يد في اختيارها.
تعرّضتُ الشهر الماضي لعملية ابتزاز مقيتة أتت من منطقة إدلب في الداخل السوريّ. فقد هددني جماعةٌ من الناس مرتبطون بفصيل عسكري بالتعرّض لسلامة والدي بسبب مقال كتبته لم يعجبهم. والدي رجلٌ سبعينيّ يعيش نازحاً مع زوجته في قرية أطمة على الحدود التركية، وليس مسؤول عمّا أقوله وأفعله؛ وهذه بديهيّة لم يستوعبها البعض ممن أعطتهم الحرب فائضاً من المال والسلاح.
اضطررت من أجل حماية والدي إلى توكيل محامٍ، واللجوء للقضاء في حكومة الإنقاذ في إدلب. قام جهازُ الشرطة في قرية كفرلوسين الحدوديّة بإلقاء القبض على صاحب التهديد، غير آبهين بالمسلّحين الذين يقفون وراءه، وتم وضعه في السجن، ومعاقبته على تنمّره وإساءته بأن حلقوا شعره (على الصفر)، وجعلوه يكتب تعهداً بأنه لن يتعرض لوالدي بسوء، ولن يكرر تنمّره وتهديداته. ولم يتمّ إطلاق سراحه إلا بعد موافقة المحامي الذي قمت بتوكيله.
من الرائع أن نشاهد العدالة وقد تحقّقت، حتى وإن كانت على يد حكومة الإنقاذ في إدلب، مع أني كنت واثقاً منذ البداية أنّ والدي جَبلٌ "لا يهزّه ريح" فمنه ورثتُ الشجاعة والعدل والصدق؛ وهي قيم لن يغفر لي لو تخلّيتُ عنها من أجل شرذمة خارجة عن القانون.
وحاصل الأمر أني أشعر بالاطمئنان أكثر على والدي وعلى أهل إدلب والنازحين إليها بعد هذه الحادثة، ويحدوني الأمل أن إدلب -أرض التين والزيتون- لن تكون إلّا بخير.

ماذا لو عاد الكواكبي؟

عزام الخطيب

تمر في هذه الأيام التي أكتب بها هذا المقال الذكرى التاسعة عشر بعد المئة لوفاة واحد من أهم مفكري القرن التاسع عشر، ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا ربما هو أهم مفكري العرب في العصر الحديث.

ولد المفكر العظيم عبد الرحمن الكواكبي في حلب سنة 1855، وهو من عائلة مشهورة وتعد من أشراف العوائل فيها؛ فقد كان الكواكبي، وبمدرسته التي تأسست باسمه، رائداً من رواد العلوم والمعرفة، وأضيف الصحافة أيضاً. فبعد أن بدأ حياته الصحفية محرراً في جريدة الفرات الرسمية التي كانت تصدر في حلب، لم يجد بعمله فيها متسعاً وهامشاً من الحرية اللازمة لتعرية الاستبداد وفضح المستبدين؛ فهي صحيفة رسمية تعبر عن رأي الدولة، فاستقال منها ليؤسس مجلة الشهباء التي لم تعمر طويلاً، لعدم تحمل السلطة جرأته في النقد، فأسس بعدها مجلة أخرى سمّاها الاعتدال، لتنال بعد فترة ما نالته أختها الشهباء من تعتيم، فإغلاق.

سافر عبد الرحمن الكواكبي إلى مصر هارباً بنفسه وعقله وفكره، لكنه لم يكن فيها أحسن حالاً ولا حظاً؛ فكانت نهايته بفنجان قهوة مسموم، أودى بحياته وأنهاها، لكنها لم تستطع أن تنهي أعماله وفكره الباقي والحافل بالمقالات وإصدارات الصحف والكتب، وأخص منها كتابه الأشهر (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) والتي تتردد صدى كتاباته فيها حتى الآن كقوله:

"أسير الاستبداد لا يملك شيئاً ليحرص على حفظه، لأنه لا يملك مالاً غير معرض للسلب، ولا شرفاً غير معرض للإهانة".

وقوله: "والاستبداد مفسد للدين في أهم تسمية أي الأخلاق، أما العبادات فلا يمسها، لأنها تلائمه أكثر".

ولعل قائل يقول: هذا كلام عظيم اعتدنا قراءته وسماعه، ودائماً ما تضج به مواقع التواصل الاجتماعي في هذه الأيام، فما الجديد وما علاقة موضوع المقال بما قلت؟

فيكون جوابي باستحضار روح الكواكبي في أعماله، وأخص فيها شروط الخلاص من الاستبداد، والتي يفصلهابقوله:

" • الأمة التي لا يشعر كلها أو أغلبها بآلام الاستبداد لا تستحق الحرية.

• لا يقاوم الاستبداد بالشدة وإنما باللين والتدرج.

• يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به الاستبداد".

فلو عاد الكواكبي ورأى ما نحن عليه اليوم، فأنا أكيد بأنه سيأوي لأي جزيرة نائية لتكون مقراً لمنفاه الاختياري، حتى ينتهي هذا الجنون، أو كنا سنراه حادّ الطّباع، صعبَ المراس، سريع الغضب، منبهاً هذا، متخاصماً مع ذاك، من دون طائل أو سامع.. فلا خصوم الاستبداد كانوا متدرجين لينين في مطالبهم، ولا مؤيدوه أدركوا آلامه أو شعروا بها.. إلا من رحم ربي.

مقولات لعبد الرحمن الكواكبي :

- أضر شيء على الإنسان هو الجهل وأضر آثار الجهل هو الخوف.
- العوام هم قوّة المستبد وقوته، بهم عليهم يصول ويطول يأسرهم فيتهللون لشوكته ويغصب أموالهم ويحمدونه على ابقائه حياتهم ويغري بعضهم على بعض فيفتخرون بسياسته وإذا أسرف في أموالهم يقولون كريمًا وإذا قتل منهم ولم يمثل يعتبرونه رحيما.
- وإذا تتبعنا سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع الأمة نجد أنهما مع كونهما مفطورون خير فطرة ونائلين التربية النبوية لم تترك الأمة معهما المراقبة والمحاسبة ولم تعطهما طاعة عمياء.
- الاستبداد يقلب الحقائق في الأذهان فيسوق الناس إلى إعتقاد أن طالب الحق فاجر وتارك حقه مُطيع والمُشتكي المُتظلم مُفسِد والنبيه المُدقق مُلحد والخامل المسكين صالح ويُصبح -كذلك- النُّصْح فضولا والغيرة عداوة والشهامة عتوّا والحميّة حماقة والرحمة مرضًا كما يعتبر أن النفاق سياسة والتحايل كياسة والدناءة لُطف والنذالة دماثة.
- اللهم إن المُستبدين وشركائهم قد جعلوا دينك غير الدين الذي أنزلت فلا حول ولا قوة إلا بك.

سوريون: بين السخرية واللامبالاة

يوسف صادق

"لأنّ هذه الأجنحة لم تعد أجنحةً تطير
بل مجرّد مراوح لضرب الهواء
أصغر وأجفُّ من العزيمة
لُقنّا أن نأبه ولا نأبه
لُقنّا أن نجلس بسكينة"

هكذا خاطب إليوت الإنسانَ الذي أنهكته الحروب والفقر في لحظة اغتراب من عمر البشرية.

هذه اللحظة سبق وأن عاشها ويعيشها الإنسان بتناقضاتها؛ بين أن لا يملك أجنحة، فيبقى أسير لحظته ومكانه، وبين أن يتملّكه الأمل ولا يستطيع أن يرتقي بإنسانيته وحلمه، ويحققهما.

وكم من اللحظات امتدّت سبعاً عجافاً، فرضت بجناحيها الأسودين رضوخاً واضطهاداً بين النزوح والوطن الخيمة، بين الهجرة والوطن الغربة، بين الذات والآخر الغربة، بين الحرية وقيود سلطة الموروث والعسكر. حينها يبتعد الإنسان عن ذاته التي يريد ولم تتحقق، يتركها مرميّة كثوب العيد، كلّما نظر إليه ابتسم وأصابته الحماسة، فيستيقظ الطفل داخله يناديه هيّا.. ثمّ يصفعه.. لا لأنه يكرهه بل لأنه لم يعد قادراً على ارتداء بسمته واستعادة حرية الأطفال.

كل شيءٍ يحضر الآن، ذكريات أيام الحرب والنزوح، ذكريات مَن كانوا هنا ورحلوا، تحضر السياسة والاقتصاد، التطرّف والانفتاح، الصالح العام والأنانية، قضايا المجتمع العالقة.

في هذه التناقضات تُراكمُ الغربة غبارها في أنحاء أرواحنا، مثل غرفة هجرها عاشقان، مثل وطنٍ هجره أهله، ومثل بيتٍ هجرته ضحكات الأطفال... هي لحظة قد يأتي طفل يعبث برسم وجه في الغبار، وقد تأتي عاشقةٌ لتستعيد وردتها، هي لحظة أشبه من استيقاظ الغريق، ليست قدراً؛ فلولاها لما كان هناك مَن حَلمَ ومَن غنّى في تاريخ الليل الطويل من شقاء البشرية.

ولتكن عبثاً، فحسبُ حبّات المطر السقوط، ولتكن خربشات لعاشق فقد المرونة وأساليب العشق. هذه لحظة أخرى بين اللامبالاة والسخرية، بين أن نكون أو لا نكون كما شاء المطر. هذا السؤال الذي يشرح أحوالنا اليوم، هل فشلنا في تجاوز تلك التناقضات؟ وهل هي تناقضات حقّاً؟ وهل حالة اللامبالاة هي التعبير الرمزي عن الرضوخ والاستسلام؟

لا أحد يرسم الطريق في أرض تختنق بالأوحال، لا أحد يشقّ البحر بعصاه، ولا أحد تملك روحه براقاً يجتاز بها السماوات والحدود، ويفكّ كل القيود، حتّى التي تركت آثارها في أرواحنا.

لربما هي لحظة رقصة زوربا، مهما كان من انهيار لحلم، أو انهيار مكان امتدّت به أجسادنا لتكونه. هل بتنا في لحظة اللامبالاة والبلادة نبحث عن وطن يشبه أحلامنا؟ أم اكتشفنا أنّ للوطن مفاهيم لم نكن لنعيها؟ أم أنّ الحرب تغيّر مفاهيم الإنسان عن ذاته وعن الآخر وعن الانتماء. رقصة زوربا تعيد إلينا الروح والحلم، خدش نحس من خلاله بجسدٍ كان مشلولاً، فقط لأنه أراد الرقص كما تشاء روح تسكنه.

هو انتماؤنا هذه اللحظة، الحلم انتماؤنا، المكان الذي تراكم به الغبار وركام البيوت المنهدمة انتماؤنا، المكان الذي سيزهر بالضحكات بعد صيف حين يعود سكانه المهجرين، وكم مرّة بكينا فيه.. هو هو انتماؤنا...

إذاً لا ضير من أن نضحك ونسخر.. هذه هي حالنا، هذه هي لحظة إنساننا المهدور المقهور، السخرية حال مَن لا يملك جناحاً ليطير، ليس عجزاً أو هروباً، لكنْ تعبيرٌ رمزيٌّ عن الرفض، نفي لحالة التهميش واللاكينونة، انتقامٌ لعجزنا أمام الغبار في أرواحنا، لطالما خلقنا الله على صورته، لطالما استخلفنا على جمال الدنيا، فيحقّ لأرواحنا الحرية، يحقّ لها أن تسمو فوق الحدود. والأهم أن تعود للإنسان مكانته ومركزيته في الكون، وتعود لأياديه طهر هذا المكان الذي بناه وجعله انتماءً له.

في السخرية يتخلّص المُستعبَد من تناهيه، من صغره أمام الجبّار/المستعبِد، يجعله مساوياً له في الوجود يحطّ من قدر ابتعاده عنه، يقصّر المسافة بينهما، سنون طويلة، وغبار كثيف جعلا المستبَدّ يصل لمرتبة الجبّار، لكن النكتة والسخرية والكلمة والضحكة تخربش وتهدم كل هالة صنعها المستَبدّ لنفسه، يضحك لها الكبير والصغير، يضحك لها المكان، حتى الأشجار تتمايل همساً من دغدغة العصافير التي لا تقوى على الطيران، حتى السؤال البسيط لطفل يحرّك روائح الملل والتلقين في الصفوف.

هذه اللحظة المتناقضة بين اللامبالاة والسخرية، تجعل كل ما تركناه من جمال للغبار يتحرّك، يهزّ رأسه، يعلن عن نفسه، أنا هنا، أحتاج فقط لأن أطير.. لحظة القهر والاستلاب تجعل الإنسان بليداً لامبالياً، مستسلماً لتراكم الغبار فوق خيالاته، الاستلاب خدر وبلادة، الاستلاب لقوّة خفيّة قد تأتي الاستلاب لقيم يعتاش عليها المقهور حتى يضمن سلامته، الاستلاب لقيم تحدّد مكانة الشخص منذ أن يرى النور، الاستلاب لمقولات تريدنا كالدمى في مسرح الأوصياء وقوى الأمر الواقع وسلاح الميليشيات متعددة الأصناف والأجناس، الاستلاب لُمثل تجعل الإنسان صالحاً في قطيع مطيع، وتجعل الإنسان عبداً لشهواته وأنانيّته وتجارة المخدرات لأولى الأمر والنهي، الاستلاب لسلطات القهر والاستبداد السياسي، لذكورة ما تزال تنفي إنسانيتنا، وتنفي عن الأنثى كينونتها.

لم نحلم ببيتٍ يضم العائلة السورية لتكون الخيمة والهجرة مصيراً! ولم نحلم بأبسط الحقوق لتكون الطوابير غايتنا، لم نحلم بالاحترام لنعود لحوار القبائل بالسيف والجاه، ولم نحلم بأن يكون أطفالنا أحراراً في مخيلاتهم وبراءتهم لتزداد القيود ويزداد الأوصياء.

والسؤال لا ينتهي.. طالما بدأت الكلمات، هذا هو الحد الفاصل بين اللامبالاة والسخرية بكل أشكالها.. ليست هدفاً بذاتها، فما كان سؤال الإنسان يوماً عن معنى وجوده هذراً.

السخرية، النكتة، التهكّم، الضحكة، الخربشة، تعيد للسؤال دهشته، حتى لا يكون موجعاً، كفانا استلابات وغربة، وحسبنا من السخرية كلّ ما فصّلناه، لنخرج من حالة اللامعنى التي وصلنا إليها حيث لا جدوى.. وحسبي أقول إنّ السخرية بأنواعها في حالنا اليوم ليست برنامج عمل، لكنها حالةٌ عامة ودليل صحيّ على أنّنا انتقلنا بل أنّنا نتململ في حالة اللامبالاة ونتساءل.

وكلّ ما نحتاجه فقط أن نعيد لأجنحتنا قدرتها على التحليق وهذا هو نفي النفي والفعل الإنساني.

القاص الفلسطيني زياد خداش في حوار مع طلعنا عالحرية

بشرى البشوات

"لو كان لدي بنت لأحببت أن تكون كاتبة مثلي، تتجاوز عالمي وتسخر من لغتي القديمة وتسافر لتتسلم الجوائز، بينما أركض خلفها في القاعة دون أن يعرفني أحد، مستمتعاً بمشهد انحناء الصحفيين لها، وظيفتي فقط أن أستلم عنها باقات الزهور في حفلات توقيع كتبها، لتتفرغ هي لمصافحة المعجبين المحتشدين، مكتفيا أنا بفكرة أن العالم يصافح قلبي".
زياد خداش

ماذا يفعل المرء باللغة حين يولد فلسطينيا؟
الكاتب والمعلم زياد خداش الذي ولد في القدس عام 1964، ويحمل إجازة في الأدب العربي من جامعة اليرموك، يمارس التعليم في مدارس فلسطين ويدرّس الكتابة الإبداعيّة، في رصيده اثنتا عشر مجموعة قصصيّة، حائز على جائزة فلسطين التشجيعية عن كتابه "خطأ النادل".
أتحدث مع زياد عن القدس، عن القصص، المخيم، عن الأرض والهوية، عنه كفلسطيني ومبدع.

- بدأت حياتك الإبداعيّة في سنتك الثالثة الجامعية في جامعة اليرموك، هل ثمة حضور مميز لأحدهم في تلك البدايات؟
لم يكن هناك أحد مميز في تلك المرحلة، وأظن أن المميز في تلك المرحلة هو اكتشافي لذاتي واكتشافي لحاجتي إلى التعبير عن هواجس كثيرة كانت تشتعل داخلي في تلك المرحلة.

- الكتابة حالة مبالغة، هل نجوت من "فخ اللغة" كما طلب إليك مرة الشاعر حسين البرغوثي؟
نجوت من فخ اللغة بفضل أبيّ الشاعر والعملاق حسين البرغوثي، كنت أرقص مع اللغة، ولم أكن أعرف بأن هذا النوع من الرقص طارد للأفكار والأحداث ويتحول مع الوقت إلى نوع من التهريج والدلع.

- في قصص زياد خداش أنتَ دائمًا موجود، كشاهد على الحدث، تستخدم ضمير المتكلم لماذا؟
أعشق ضمير المتكلم في الكتابة كثيراً، أعتبره متعة قصوى. فهو يعطيني المدى البعيد في التعبير عن ذاتي وهواجسي الدقيقة التي لا يستطيع ضمير الغائب أو المخاطب التعبير عنها.
أحب أن أكون شاهداً على كل شيء،
أحبّ أن أكون منخرطاً في كل التجارب، أحب أن أكون صديقاً لبطل القصة أو عدواً له، أو مراقباً له، أو ماراً بجواره.

- هل اختلف نتاج زياد قبل أوسلو وبعدها، خصوصاً بعد عودة الكثير من الأسماء: يحيى يخلف، غسان زقطان...؟
اختلاف كبير، أتذكر نفسي كاتباً شاباً ينام عند العاشرة، لديه كتب قليلة محلية.
كنّا نستخدم مصطلح "الأدب المحلي" المقصود بالمصطلح الكتب المطبوعة في فلسطين، ولم تكن كتب العائدين بعد أوسلو متوفرة لدينا، كنا نتشوق لقراءتها واحتضانها.
حياة العائدين نفسها، كانت درساً ومدرسة بالنسبة لنّا. تعلمنا منهم كيف نحوّل الحياة إلى مغامرة وكيف نقول للحياة تعالي، بالإضافة إلى تقنيات جديدة تعلمناها منهم.

- تقول في إحدى الحوارات بأن مسؤولية المثقف الانخراط بالحدث كونه مواطناً بالدرجة الأولى، الانتفاضة الأولى والثانية، ثم ما حصل أخيراً في حي الشيخ جراح وعموم فلسطين، كيف تأثرت بها؟
تأثير كبير، لكنه غير مباشر نحن لا نستطيع أن نكتب الأحداث كما تحدث، لا نستطيع أن نحرض ونصرخ كما يفعل الكتاب السياسيون، هذا ممكن في مجال الكتابة السياسية المباشرة، لكن في الأدب هناك طريقة أخرى.
نحن نهضم هذه الأحداث؛ نقطرها داخلنا مشاهد فن وأدب، ونحوّلها إلى واقع مختلف، واقع مختلف يبعث على الأسئلة الجديدة.

- إلى من ينتمي زياد أكثر: القدس، بيت نبالة، رام الله؟
انتمائي إلى الأماكن الثلاثة التي ذكرتيها، لا أستطيع أن أفصل بينهما أبدًا، في داخلي رام الله وبيت نبالة والقدس، هذه الأماكن الثلاثة تشكل روحي وتشكل بوصلتي الوطنية، بيت نبالة الحنين والجذور والبيت الأول، رام الله الأصدقاء والحب والكتابة، القدس الحلم، الحلم، الحلم..
فكيف استغني عن أحلامي وعن أصدقائي وعن بيتي الأول؟!

-المخيم، حساسية اللاجىء، كيف انعكست على كتابتك؟
حساسية اللاجئ تطاردني في كل مكان، حتى وصلت إلى أعماق قصصي، معظم شخوصي لاجئون يبحثون عن ذواتهم، معظم شخوصي حساسون ضائعون في مهب المدن، نبلاء من الداخل عاجزون عن التعبير، يخافون من الطوابير أمام المؤسسات. وحين يسافرون يرتعبون من فكرة فقدان جواز سفرهم، وحين يموتون يتمنون لو كان هناك نفق في قبورهم، يعودون من خلاله إلى بلادهم المخطوفة.

- زياد أنت غير منظم سياسياً، تحب العيش خارج الأطر، يبدو هذا غريباً كونك فلسطيني؟

نعم تماماً، إحدى الأشياء التي أفخر بها ككاتب، هو أنني كنت مدركاً لخطر الأيديولوجيا في الكتابة.

أنا أحب فلسطين جداً، وأنتمي إليها وأحلم بالعودة إلى بلادي المسروقة، ولكنني لا أستطيع أن أكتب إلا من خلال إحساسي الحر، وبوصلة إحساسي الوحيد هذا حنيني إلى العودة إلى بيتي الأول.

- المرأة في حياة زياد؟

المرأة في حياتي وفي قصصي، قصتان حبيبتان إلى قلبي. لا أستطيع أن أكتب عن الحياة دون أن أكتب عن المرأة.

لا أستطيع أن أكتب عن الألم وعن السعادة دون أن يكون للمرأة دور كبير في هاتين المسألتين.

لا ألم ولا سعادة دون أن يكون بجوار امرأة تبتسم أو تبكي.

- الجولان السوري المحتل، الجغرافية القريبة، العلاقة بينكما؟

أحبّ الجولان كثيراً، ليّ أصدقاء كثر هناك. زرت الجولان مرات عديدة، في كل مرة أعود فيها من الجولان أشعر بأني تركت بيتي هناك.

شعور غريب ينتابني كلما وصلت الجولان. أريد أن أصافح كل الجولانين الذين يمرون عني. الشخصية الجولانية شخصية كريمة ومحببة. أحبّ أن أكتب عن الناس هناك، الذين صمدوا، عن كبريائهم عن بطولاتهم.

- زياد خداش خضت تجربة ثريّة ومهمة في التعليم، وانتشرت لك فيديوهات مميزة مع الأطفال، ما الفكرة من ذلك؟

الذي دفعني لخوض هذه التجربة مع التلاميذ، هو رغبتي بأن أتحرر أيضاً وأحرر. أتحرر من هذا المكان الثقيل وأحرر طلابي من هذا المكان الثقيل، هي عملية تحرر مزدوجة. أنا أعتبر أن المدرس يعيش أيضاً سجناً كبيراً في المدرسة إلى جانب الطلاب.

يضيف زياد أخيراً عن الكتابة بأنها أداته ومعبره وهدفه، من خلالها يقاوم ويعرف ويعلّم طلابه أن لا ينسوا بلادهم التي سرقها المحتلون الغاشمون.

"أكتب لأنني أخاف المرتفعات والتجار، وإهانات الجنود، وتأخر أميّ في النوم، والتحديق في عيون الناس"

زياد خداش.. فلسطين.

كانت فوضى عارمة

زياد خداش

لن أنسى "هاشم" و"فؤاد" صاحبي أشهر محل فلافل في مخيم الأمعري.. ارتبط اسمهما بي ارتباط رائحة فلافلهما المذهلة في أوائل السبعينيات بقلبي قبل فمي. كنت طالبا في المرحلة الابتدائية بمدرسة الأمعري الثانية برام الله، كانت المدرسة قد تعاقدت مع هاشم وفؤاد على بيع ساندويشات الفلافل لطلاب المدرسة الثلاثمئة.

في (الفرصة) استراحة التلاميذ الأولى، كان هاشم وفؤاد يقفان في ساحة المدرسة الواسعة أمامها كراتين ممتلئة بالساندويشات اللذيذة، المضغوطة على حبتي فلافل وقطع بندورة مغمسة بالطحينية وقليل من الشطة، بانتظار هجوم الأفواه بعد ثلاث حصص من الأوامر والضرب والصراخ والتفتيش. لم يكن هناك نظام طابور أمام ملاكّي أفواهنا، كنا نتجمع فوق بعضنا البعض بالمئات أمامهما وخلفهما وبينهما مادّين أيادينا الصغيرة بالليرة المعدنية.

كانت فوضى عارمة.. غير عادلة أبداً، هناك من كان عاجزاً عن الوصول للكراتين، وهناك من يصل دون أن يدفع، عن قصد أو بسبب التدافع.

بعد فترة حدث شيء غريب لي؛ ما أن يرن جرس (الفرصة) كنت تلقائياً أدخل يدي في جيبي لأخرج الليرة ولا اجدها! باكياً كنت أرتمي تحت المقاعد باحثاً عن ليرتي.

حدث هذا أكثر من مرة، وكنت أضطر لجوعي الشديد وعشق قلبي لساندويشات هاشم وفؤاد إلى أن أندس بين المئات من التلاميذ، مادّاً يدي المفتوحة وأنا أصيح: "أعطيتك عمي.. أعطيتك.. والله أعطيتك!" فأحصل على الساندويش وأهرب إلى آخر الساحة، ألتهم خديعتي وأنا أرتجف خوفاً.

عشرات الساندويشات حصلت عليها بهذه الطريقة، وكان لغز ضياع نقودي محيراً بالفعل، لي ولأبي وللمعلمين.

أكثر من أربعين سنة مرت على خداعي وارتجافي وساندويشاتي المذهلة.

كان شعوري بالذنب ينمو بهدوء كلما رأيت ابن هاشم، الذي كان عندي طالباً في المدرسة التي كنت أعلم فيها الطلاب صدقَ الإحساس والتصالح مع النفس وعدم الخداع.

قبل سنة واحدة فقط كنت أصافح صديقاً لي كان يعمل وكيل وزارة سابق، وكان صديقي وزميل مقعد واحد في المدرسة:

"كيفك أبو الزوز. اسمع.. بدي اعترفلك بشغلة.. مبارح كنت أنا ومرتي نلعب لعبة الاعترافات. فاعترفت لها أني كنت أسرق مصاري الولاد في المدرسة. أوعَ تزعل هههههه"! ووضع ضاحكاً في يدي العشر شواقل التي سرقها مني، ومضى وضحكته تأكل شارع السهل.

ودون أن أفكر أسرعت إلى حيث يعمل طالبي المؤدب ابن هاشم، وضعت في يده العشر شواكل، حاكياً له القصة بالتفصيل.

خرجت من عند الطالب إلى (فلافل عبده) اشتريت عشر ساندويشات، وأمام الناس أسرعت في التهامها دون ارتجاف.

في الليل وصلتني رسالة من صديقي وطالبي ابن هاشم:

"أستاذي الجميل، لأنك علمتني الصدق في كل شيء والشجاعة في مواجهة العالم بالحقيقة، سأروي لك الحكاية التي سردها أبي لي ولأشقائي قبل موته. أبي وزميله فؤاد كانا يعرفان من أعطاهما النقود ومن لم يعطهما من التلاميذ، لكنهما كانا يدعيان عدم المعرفة تعاطفاً منهما مع التلاميذ غير المقتدرين، وحين ألححت أنا وأشقائي على أبي لذكر أسماء التلاميذ الذين كانوا يغشون، رفض أبي أن يفصح، لكنه قال لي جملة غريبة يا أستاذي أريدك أن تعينني في تحليلها:

"لقد أعطاك أحد هؤلاء الغشاشين الصغار أضعاف ما أخذ مني""!

رياض الصالح الحسين..
تجربة شعرية متفرّدة متمرّدة

ياسمين نهار

في عالم يكتنفه الغموض، وتضيق فيه فرص الإفصاح؛ يصبح الشّعر فضاءً رحباً وعالماً بديلاً لشاعر رفض القوالب الثّابتة في الحياة وفي الفنّ؛ لأنّه أدرك منذ بداياته أنّ الحريّة شرط الإبداع الأوّل.

رياض الصّالح الحسين كتب شعر التّفعيلة وقصيدة النثر، إلّا أنّه يُعدّ رائداً من روّاد قصيدة النّثر؛ أي لا وزن، ولا قافية؛ فقد امتلك من مقوّمات الشّعر التقليديّة اللّغة، ولغته طيّعة مرنة رفعها من الكلام العاديّ إلى مراتب الشّعريّة، واستعاض عن الإيقاع بالصّور الجديدة المفاجئة والتّضاد والدّفقة الشّعوريّة الموحّدة لقصيدته.

إنّ تطوّر ذائقة القارئ واتّساع آفاقه في العقود الأخيرة ساعد على تقبّل التجارب الشّعريّة المختلفة المتحرّرة من النّمطيّة الشّعريّة، التي هيمنت على الشّعر إبداعاً وتلقيّاً عقوداً طويلة، محاصرةً كلّ محاولة للتّجديد، متجاهلةً ما يطرأ على الحياة والفنّ من متغيّرات.

رياض شاعر من شعراء جيل السّبعينيّات ولد في مدينة درعا عام 1954، وهو ينحدر من مدينة مارع في ريف حلب، توفي في عام 1982 بعد معاناة مع مرض القصور الكلوي.

حادثتان كان لهما أثرٌ كبيرٌ على حياته وشعره، أوّلهما: فقدانه السّمع والقدرة الطّبيعيّة عل النّطق أثناء عمليّة جراحيّة أُجريت له وهو في الثّالثة عشر من عمره، وثانيهما: تجربة اعتقال مريرة بسبب إصدار كرّاس أدبيّ مع مجموعة من الأدباء الشّبّان تعرّض خلالها لتنكيل أكثر من أقرانه للتأكّد من حقيقة إعاقته.

له أربع مجموعات شعريّة هي حسب تتالي صدورها: "خراب الدورة الدمويّة"، "أساطير يوميّة"، "بسيط كالماء واضح كطلقة مسدس"، "وعلٌ في الغابة" وديوانه الأخير (وعلٌ في الغابة) طُبع بعد وفاته.

أبرز مميّزات شعر رياض الصالح الحسين:

1 - الطّفولة الممتدة:

إنّ قصائده تُنبئ بشخصيّة شاب شفّاف له قلب طفل، وكأنّ الطّفولة النّابضة في ثنايا شعره تخفي رغبةً باستعادة الزّمن، وحنيناً إلى مرحلة ما قبل الثّالثة عشر من عمره؛ قبل أن يُصاب بالصّمم وتعثّر النّطق، فكانت الطّفولة في شعره عودةً إلى النّقاء ورغبةً في إيجاد صلة بين روحه الشّاعرة وطفولة الخليقة، لعلّه يعيد للحياة صفاءها المشتهى.

2 - الحبّ: يعدّ الحبّ هاجسه الأوّل في الشّعر وفي الحياة؛

إذ يصعب علينا أن نفصل شعره (بلغته الخاصّة، وعوالمه المدهشة) عن حياته وكأنّ شعره صورة لحياته، وحياته مصدرٌ مهمٌّ لإبداعه، وليس الحبّ عنده حالة للرّاحة بل حافزاً للحياة والكتابة؛ به يمحو قباحة الحياة، وبه أيضاً ينتصر على إعاقته ومرضه، ويصير إنساناً كاملاً.. ومن أجمل قصائده قصيدة بعنوان "يدك":

"خمس قاراتٍ مغلقة
تنتظر أصابع يدك الخمسة
خمس قارات مفتوحة تنتظرني
عندما أضمّ أصابع يدك الخمسة
يدك في الشّتاء
ترابٌ مبلّل بالمطر
ويدك في الصّيف
سنبلة في حقلٍ من الرماد
لا تفتحي يدك.. لا تفتحي يدك
فكلّ أغاني العالم ستنطلق منها
لا تغلقي يدك.. لا تغلقي يدك
فكلّ أغاني العالم ستلتجئ إليها
يدك الطريّة الدافئة
كقلبي
كيف أتركها تضيع كطائر
في غابة مليئة بالصيّادين"

3 - النزعة الدّراميّة في شعره:

إنّ القصيدة الغنائيّة لم تعد قادرة على استيعاب التطوّرات الجديدة ومشكلات الإنسان وحاجاته المتزايدة؛ لذا لجأ الشّعراء المجدّدون، ومنهم شاعرنا، إلى استخدام تقنيّات السّرد والمونولوج والعناصر الدّراميّة ممّا جعل قصائدهم تتسم بالتنوّع والاختلاف، والمتتبع بنية قصائد رياض

يرى أنّ عدداً كبيراً منها يعتمد على القصيدة المشهد؛ حيث تبدأ القصيدة بمشهد أوّليّ لا يلبث أن يتّسع إلى مشاهد، أو تكون القصيدة مجموعة من المشاهد المختلفة كما في قصيدة "خراب الدورة الدمويّة" حيث قسّمها إلى تسعة مقاطع، كلّ مقطع يمثّل مشهداً مستقلّاً، وجعل خيطاً رفيعاً يربط المشاهد المنفصلة، لتشكّل في النهاية لوحة مكتملة، ولعل قصيدة "أغنية رجل متعب عائد إلى البيت" من القصائد التي تدلّ على التوافق بين تقنية المونولوج الداخلي التي وظّفها الشاعر في قصيدته والفكرة التي أراد إيصالها. يقول:

"هذه الدنيا الموشكة على البكاء
برتقالة أم حجر
سمكة أم تمساح؟
وهذا القمر
الذي يطلّ كلّ مساء
بثيابه الرّثة
مادّاً يديه إلى سكارى منتصف الليل
كشحّاذ عتيق
هل أسأله من أنت
أم أغرز أسناني في رأسه؟
رأسه الذي كحبة جوز فارغة
تتطوّح في هواء منتصف الليل.
أنظر إلى القمر كرومانتيكي عريق
وخنصري أمام أنفه
سأخاصمك يا قمر
أيّها الأصفر الكبير
لن أشرب معك القهوة
ولن أركض معك في البريّة
لن أنتحب أمامك كعاشق
ولن أحجب وجهك كغيمة
وكجندي مهزوم عائد من حرب عادلة
سأنظر دائماً إلى الأسفل
راكلاً الحصى والمتاعب ببوز حذائي
وأنا أفكّر بالمجهول"

4 - نَقْلُ تفاصيل الواقع:

امتاز رياض بالقدرة على القبض على التّفاصيل الصّغيرة وتحويلها إلى شعر؛ حيث أخرج اليوميّات والجزئيّات الصّغيرة من الهامش المُهمَل إلى دائرة الضّوء والحياة؛ لأنّه اختار أن ينزل إلى الواقع البائس ويعكس يومياته، ساعدتْه على ذلك موهبته وعفويّته ودقّة ملاحظته، ولا يعني ما سبق من كلام أنّ شعره كلّه اقتصر على التّعبير عن الآخر والأشياء الهامشيّة، فقد كان لذاته المُحبّة والمغامرة والقلقة نصيب وافر من تجربته الشّعريّة. وهذا إنجاز يُحتسب للشّعراء المجدّدين.

5 - نبرة الحزن والقدرة على الجمع بين المتناقضات:

الحزن بُعدٌ من أبعاد الذات التي تعيش في عالم يحكمه الاضطهاد والفقر، فكيف إذا كان لشاعرنا بالإضافة إلى المعاناة العامّة معاناته الخاصّة بسبب المرض والصّمم وتعثّر النّطق؟ لذا صدق فيه قول الشّاعر الإماراتي حبيب الصائغ: " في كلّ شاعر كائن مسكون بكآبة الدّنيا وتعب الكون".

وليس هذا فحسب فقد برع رياض في المقابلة بين القيم المتناقضة (الفرح/ الحزن)، (الموت/ الحياة)، (الأبيض/ الأسود)، (الكآبة/ الضحك).

وهذا التّضاد أخرج القصيدة من المعنى الأحادي إلى معانٍ متداخلة.

وختاماً أقول: لئن تأثّر رياض بمحمّد الماغوط ونزيه أبو عفش وغيرهما من الشّعراء، واطّلع على ما تيسّر له من الشّعر العالميّ المترجم، فقد أصرّ على أن يكون له صوته الخاصّ المتفرّد والمتمرّد.

ثمانية وعشرون عاماً هو عمر تجربة شاعر مع الحياة والشّعر! أمضاها لاهثاً متحفزاً مواظباً على صناعة تاريخ شخصيّ، فوصل إلى ما صبا إليه، وظلّ حلمه بوطن يقوده أبناؤه الطّيبون إلى ينابيع الحريّة معلّقاً ينتظر التحقّق، ومازال صدى شعره الهامس يتردّد في أسماعنا حين خاطب "سورية":

"يا سورية الجميلة السّعيدة
كمدفأة في كانون
يا سورية التعيسة
كعظمة بين أسنان كلب
يا سورية القاسية
كمشرط في يد جرّاح
نحن أبناؤك الطيّبون
الذين أكلنا خبزك وزيتونك وسياطك
أبداً سنقودك إلى الينابيع
أبداً سنجفّف دمك بأصابعنا الخضراء
ودموعك بشفاهنا اليابسة
أبداً سنشقّ أمامك الدروب
ولن نتركك تضيعين يا سورية
كأغنية في صحراء"

هذا هو رياض الصّالح الحسين "وعل في الغابة" الممتلئة حدّ التّخمة بزفير القهر.. رياض "بسيط كالماء واضح كطلقة مسدس" لكنّه استشرف وتنبّأ بـ "خراب الدورة الدموية" لأوطاننا، ولمّا نزل نرى في يومياتنا وأوجاعنا ما كتبه من "أساطير يومية".